الأديبة سهيلة حماد لـ (الأدب الإسلامي):

مفهوم الالتزام في الأدب الإسلامي

حاورها: محمد باوزير
السعودية

على مدى سنوات طويلة عرف المتلقي عبر الصحف والمجلات الكاتبة الأديبة سهيلة زين العابدين حماد أحد الأسماء المنافحة عن ثوابتنا وقيمنا وهويتنا الإسلامية، وظلت تدافع عن آدابنا العربية أمام المذاهب الأدبية الدخيلة والتي آمن بها وانساق خلفها ثلة من الأدباء والشعراء، إلا أنها وقفت في وجه هذه التيارات مفندة مزاعمها وفاضحة آراءها، مؤكدة جماليات الأدب الإسلامي الذي يرقى بالنفس الإنسانية ويسمو بها عما يدنسها من أفكار مضللة وآراء تحمل بين طياتها سهاما مسمومة على ديننا ولغتنا وموروثنا.

وقد خرجت الكاتبة سهيلة حماد من هذه الوقفات والمعارك والدفاع عن هويتنا الإسلامية بكثير من المؤلفات والمصنفات جاءت كلها لتصب في إبراز جماليات الإسلام وأصالته وإنسانيته، وقد نالت عبر هذه الرحلة الطويلة في الدفاع عن هويتنا كثيراً من المناوشات والنصال التي تحطمت تحت قلمها الصلد.

مجلة الأدب الإسلامي حاورت الكاتبة سهيلة في كثير من شؤون الأدب الإسلامي وقضاياه، وامتد الحوار ليشمل كتابها الأخير «التيار الإسلامي في شعر عبدالرحمن العشماوي»:

❖ هناك العديد من التعريفات حول مصطلح الأدب الإسلامي، أهناك تعريف محدد له، أم أنها اجتهادات من قبل الدارسين؟

❖❖ التعريف المتفق عليه من قبل رابطة الأدب الإسلامي العالمية هو: «التعبير الفني الهادف عن الإنسان والحياة والكون وفق التصور الإسلامي» وأنا أضيف إليه: «وفق التصور الإسلامي للخالق جل شأنه»، لأن جميع المذاهب الأدبية والفكرية تحدد موقفها من الخالق جل شأنه، وعلاقتها به، ونظرتها للخالق جل شأنه هي القاعدة التي تقوم عليها تلك المذاهب، ولا تستطيع أن تقوم عطاء أي أديب أو مفكر، أو منظر إلا من خلال عقيدته، فهي تمثل مفتاح شخصيته وفكره، ومن هنا عندما وضعت أسس النظرية الإسلامية في النقد الأدبي جعلت التصور الإسلامي للخالق جل شأنه وللإنسان والكون والحياة أساس هذا التقويم، ولو قرأت الآن شعر أدونيس، أو صلاح عبدالصبور، أو أمل دنقل، أو محمد العلي، أو علي الشبيتي، أو فوزية بوخالد، وغيرهم كثير تجدهم يحددون في قصائدهم نظرتهم إلى الله جل شأنه.

❖ أليس الالتزام يقيد الأدب الإسلامي، ويضعه في إطار محدود لا ينبغي الفكاك منه؟

❖❖ من قال: إن الالتزام في الأدب الإسلامي مقيد؟ الالتزام في الأدب الإسلامي هو نابع من داخل الأديب، وهو الثبات على الحق، يمثله قوله تعالى: ﴿يُثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾، فيأخذ هنا معنى الرغبة والتعلق والطواعية، وهذا ما يميزه من الالتزام في الآداب الأخرى، إذ يأتي التزامها من الخارج كما في الأدب الشيوعي والاشتراكي

ـــــي يختلف عنه في الآداب الأخرى

أي يأخذ معنى الإلـزام، فيكون فيه معنى القسر والقهر والإكراه، فالإلزام كثيراً ما يكون ضد الطبع، بينما الالتزام ابن الطبع. وقد بينت في الكتاب الذي نحن بصدده الآن الفرق بين الالتزام في الأدب الإسلامي، وبينه في الأدب الماركسي، والأدب الوجودي، فقلت: «إن الأديب الماركسي مُلْزَم وليس بملتزم، لأن التزامه تفرضه عليه السلطة الحاكمة التي تدفعه إليه الترغيب والترهيب، لأن النظام الشيوعي - كما وضع يده على وسائل الإنتاج المادي - وضع يده على وسائل الإنتاج المعنوي، بوضع يده على الأدباء، وما يبدعونه من أدب، وألزمهم إلزاماً بأن يكون محور كتاباتهم وأقوالهم العقيدة الشيوعية الماركسية وخدمة أهدافها، ومن ثم فقد حرم على كل أديب أن ينتج أي لون من ألوان الأدب يعارض المذهب الذي اعتنقته الدولة وارتضته للشعب، وذلك لأنها وصية عليه، مسؤولة عن توجيهه وتثقيفه وحمايته من الأفكار الضارة من وجهة نظرهم، وبذلك عد الأديب المعارض للعقيدة الماركسية خائناً لأمته وقضاياها منحازاً إلى أعدائها.

☆ العشماوي.. شاعر ولد عملاقا ويتسم بالمواصلة وغزارة الإنتاج، وتنوع الموضوعات، ورصد الأحداث.

أما مفهوم الالتزام عند الوجوديين فهو مختلف أشد الاختلاف عن مفهومه لدى الشيوعيين أو أصحاب «المذهب الواقعي الاشتراكي»، فدعاة الواقعية الاشتراكية تقوم فلسفتهم في الالتزام على الدفاع عن مبادئ الدولة السياسية والاجتماعية والاقتصادية سواءً آمن بها الأديب أو لم يؤمن.

أما الالتزام لدى الوجوديين فيقوم على القناعة النابعة من ذات الأديب. ومن هنا كان له مطلق الحرية في أن يختار الموقف الذي يطمئن إليه، وأن يلتزم به، وأن يجعل نفسه مسؤولة عنه أمام نفسه، ذلك لأن الوجوديين يدينون بأن الحقيقة الوحيدة عند الإنسان إنما تنحصر

في تفكير الفرد نفسه، وأنه لا يوجد شيء خارج عن هذا التفكير، وبالتالي فإنه لا يوجد في زعمهم إله، بل يوغلون في ذلك أشد الإيغال، فينادون بأن الإله ليس خرافة نافعة - كما ذهب فولتير - وإنما هو خرافة ضارة يجب على الإنسانية أن تتخلص منها حتى تستطيع ممارسة وجودها، وتحقيق هذا الوجود.

لكن التزام الأديب الإسلامي نابع من أعماق نفسه، ويعد مقوماً من مقومات وجوده، وهو ثابت عليه لا يتزعزع عنه مهما كثرت المحاولات لصرفه عنه لأن ما ألزم به نفسه جزء لا يتجزأ من عقيدته، وعقيدة الإنسان المسلم المؤمن حق الإيمان يرخص كل غال ونفيس في سبيل الحفاظ عليها، فالأديب المسلم ملتزم أمام الله المتصف بصفات الكمال، المنزه عن كل نقص، ثم إن الأديب الإسلامي ملتزم بشريعة مقررة ثابتة، ومثل محدودة واضحة لم يبتدعها من عند نفسه ابتداعاً.

❖ لماذا وقع اختياركم على تجربة الشاعر العشماوي، على الرغم من وجود العديد من الأصوات الشعرية في الأدب الإسلامي؟

❖❖ لقد قمت بهذه الدراسة سنة ١٤٠٧هـ، في هذه الفترة كان تيار الحداثة في المملكة تياراً جارفاً، ويكاد يكون هو الغالب في الساحة الأدبية في المملكة العربية السعودية، وكان يمثل تيار الحداثة شعراء سعوديون شبان، ولم يكن

☆ لا يقوم الإبداع إلا بمعرفة القصيدة والتعبير عنها يحدد درجة الاختلاف والاتفاق بين الأدباء.

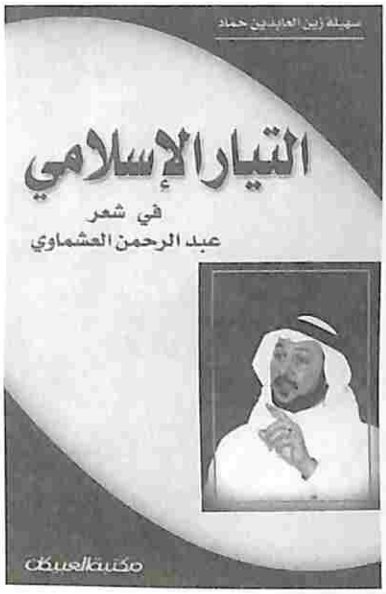

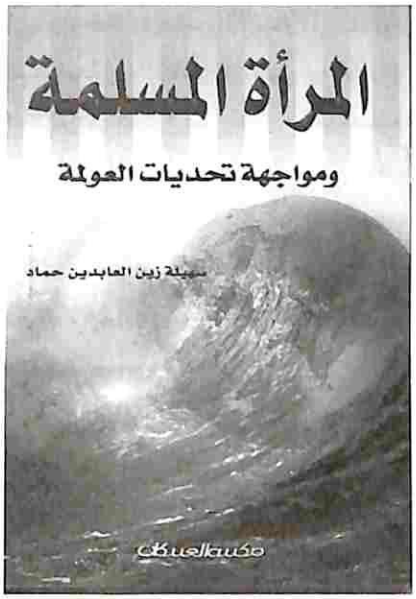

في الساحة الأدبية آنذاك من الشعراء السعوديين الشبان الذين يكتبون شعراً إسلامياً رصيناً سوى الشاعر عبدالرحمن العشماوي، ومسلم حليت، ولكن كان الشاعر حليت مقلاً في شعره رغم أن تجربته الشعرية غنية وثرية ومتميزة، ولستُ أدري لم توقف الآن عن العطاء؟

في حين كان شعر العشماوي، وهو شاعر ولد عملاقاً، ويتسم بالمواصلة وغزارة الإنتاج؛ إذ صدرت له آنذاك سبعة دواوين شعرية، كما تميز بتنوع الموضوعات التي يتناولها، راصداً الأحداث التي تمر على الأمتين العربية والإسلامية، فكان خير نموذج أقدمه للشباب من الشعراء لينتهجوا نهجه، ولأقدم للقراء شعراً ذا قيمة خلقية، يمثل هويتنا الإسلامية التي يسعى الحداثيون إلى سلبنا إياها من خلال شعر يمثل الكلاسيكية الإغرقية الوثنية، والسريالية والبرناسية، والفرويدية، والوجودية، والواقعية بكل ألوانها وأشكالها، فكان لابد أن أظهر شعر شاب سعودي يفيض شعره عذوبة ورقة، ويسمو بالنفس الإنسانية إلى مراتب عليا من طهارة النفس وصفاء العقيدة ممثلاً خير تمثيل للهوية الإسلامية التي ينبغي أن نتمسك بها، ولا نتخلى عنها، لأقول للعالم

إن مجتمعنا السعودي بخير، وأن من أبنائه من يقف على أرض صلبة فيقدم أدباً إسلامياً قوياً ومؤثراً.

❖ هل لنشأة الشاعر العشماوي دور في التزامه؟ وهل لأعلام الشعر الإسلامي أمثال الأميري ومحرم وإقبال دور في التأثر بمنهج القصيدة الإسلامية؟

❖❖ بلاشك أن للنشأة الأسرية أثراً كبيراً في أفكارنا وسلوكياتنا وقيمنا الخلقية، وتكوين شخصياتنا، ونرى في شعر العشماوي أثر أمه عليه جدَّ كبير: إذ فقد والده وهو في سن الطفولة، كما نجد أثر قريته التي ولد ونشأ فيها عليه جدَّ كبير، ويحدثنا الشاعر عن أمه في قصيدة «وفاء» التي يقول في مقدمتها:

(والليل يلقي بأستاره السود على هذا الكون، والكون مسترسل في صمته الرهيب. أستيقظ فأراها تناجي ربها بدعاء ممزوج بعبرات الحنان... وأرى كأن ضياء يشرق من كلماتها ليتصل بالسماء. ويذكر تضحيتها بشبابها الغض في سبيل تربيته ومعاناتها في تعويضه عن عطف أبيه الذي فارقه صغيراً.

كما كان لهدوء قريته عراء بالباحة، وسكونها، وتلاحم سكانها

الأميري

وبساطتهم، وسعيهم في طلب الرزق أثر كبير في تكوين شخصية الشاعر، فنشأ كريم النفس، خيرٌ الطوية، محباً للأرض وطين الأرض، فسرى في دمه حب الوطن، والوطن في نظره لا يمثل قرية «عراء» الصغيرة ذات البيوت الحجرية، والأسقف الخشبية، والمزارع السندسية، والأسواق الأسبوعية، وليس الوطن هو أرض تهامة والحجاز ونجد وحائل والأحساء، وإنما الوطن هو كل بلاد الإسلام، ولعل ديوانه «إلى أمتي»، و«قصائد إلى لبنان» تعكس وطنيته.

أما الشق الثاني من السؤال، وهو عن دور الشعراء الأميري ومحرم وإقبال في التأثر بمنهج القصيدة الإسلامية، فهذا نجده واضحاً في قصائدهم.

❖ يسيطر الوضوح والمباشرة على جل تجربة العشماوي الشعرية، هل الوضوح والمباشرة من سمات الأدب الإسلامي؟

❖❖ أولاً الوضوح والمباشرة من سمات ديننا الحنيف ومميزاته، فهو خال من تعقيدات الديانتين المحرفتين كعقيدة التثليث، كما أنه يرفض كل ما يقوم على تغييب العقل، ويوضح هذا قوله تعالى في سورة الشعراء:

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾.

فهو يرفض المذاهب الأدبية القائمة على تغييب العقل كالرمزية التي تقوم على فكرتين أساسيتين:

☆ الالتزام في الأدب الإسلامي نابع من داخل الأديب، ويتسم بالرغبة والتعلق والطواعية.

الأديبة سهيلة زين العابدين حماد في سطور

- ولدت في المدينة المنورة.
- بكالوريوس آداب، قسم تاريخ، جامعة الملك سعود بالرياض.
- دبلوم دراسات عليا في التاريخ الإسلامي، جامعة الأزهر في القاهرة.
- عملت بالتدريس، ثم وكيلة مديرة مدرسة.
- عملت رئيسة للمدارس النسوية للجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بالمدينة المنورة (تطوعا) ١٤٠٦-١٤١٢هـ.
- كتبت أكثر من ثلاثين بحثا، ومئتي مقالة تناولت فيها - من منظور إسلامي - مختلف القضايا المحلية والاجتماعية والأدبية والسياسية والاقتصادية والتعليمية والتربوية والإعلامية والتاريخية، نشرت في معظم الصحف والمجلات السعودية وبعض الصحف والمجلات العربية.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، أول رئيسة للجنة الأدبيات في الرابطة.
- عضو اللجنة الوطنية لحقوق الإنسان في المملكة العربية السعودية.
- شاركت في عدد من المؤتمرات والندوات المحلية والعربية والدولية.
- أسهمت في إعداد الملتقى الدولي الأول للأدبيات الإسلاميات في القاهرة.
- من إنتاجها المطبوع:
  - من عمق الروح وصلب الفكر.
  - إحسان عبدالقدوس بين العلمانية والفرويدية.
  - مسيرة المرأة السعودية .. إلى أين؟
  - المرأة بين الإفراط والتفريط.
  - بناء الأسرة المسلمة.
  - دور المرأة المسلمة في وضعنا الراهن.
  - المرأة المسلمة ومواجهة تحديات العولمة.
  - التيار الإسلامي في شعر عبدالرحمن العشماوي.

أولاهما: إنكار الحقائق المحسوسة التي لا تزيد عن كونها صوراً ترمز إلى حقائق مثالية بعيدة عن عالمنا المحسوس.

وثانيهما: أن عقل الإنسان الظاهر الواعي عقل محدود، وأن الإنسان يملك عقلاً باطناً غير واع أرحب من ذلك العقل.

هذا وقد رد الشاعر العشماوي على ما يقال عن شعره أبلغ رد في هذا البيت:

يقولون في شعري وضوح وحكمة
وذلك أسمى ما يُقال وأرفع

❖ هل كتابة العشماوي لشعر التفعيلة يعد إرضاءً منه لتيار الحداثة، وحتى يسجل حضوراً في ساحتهم؟

❖❖ من قال إن شعر التفعيلة هو شعر الحداثة، لقد كتب شعر التفعيلة العديد من شعرائنا الكبار مثل الشاعر محمد حسن فقي، والعواد وغيرهما، وقد كتبوه قبل دخول التيار الحداثي الأدونيسي الساحة الأدبية في المملكة العربية السعودية، والشاعر العشماوي ليس في حاجة إلى إرضاء الحداثيين، وكتابته شعر التفعيلة يدل على مقدرته الشعرية التي يتحدى بها الذين يعجزون عن نظم القصيدة الشعرية المقفاة.

❖ يلحظ القارئ لشعر العشماوي التحدث بأسماء الشخصيات مثل «عيدية شارون» و«تساؤلات طفل فلسطيني» و«قصيدة على لسان أحد مجاهدي الشيشان» بدلاً من أن ينطلق من تصوراته وآرائه؟

❖❖ مما يميز شعر الشاعر عبدالرحمن العشماوي، أنه سجل لتاريخ الأمتين العربية والإسلامية، وقد سبقه في هذا التوجه الشاعر الإسلامي الكبير محمد التهامي، وما دام الشاعر يكتب تاريخ هذه الأمة شعراً، فله أن يتحدث بأسماء شخصيات من قلب الأحداث.

❖ ود القارئ أن تضم دراستكم عن شاعرية العشماوي بعضاً من السمات الأسلوبية والصور الشعرية إلى جانب الموسيقى والتشكيل الشعري التي تعج بها تجربته، لماذا همشت هذه

محمد حسن الفقي

عمر أبو ريشة

☆ العواد والفقي كتبا «التفعيلة» قبل شعراء الحداثة.

الجماليات؟

❖❖ لقد أشرتُ إلى بعض هذه الجوانب الجمالية، ولم أهمشها، وقد توقفت عند قصيدة «أعط القوس باريها»؛ إذ تفوق الشاعر على نفسه في هذه القصيدة في تصويره لهذه الصور «وقفنا»، و«ربما سرنا»، و«حركنا ركائبنا»، و«يوقفنا»، و«وقفنا» فهذه الحركة أضفت على القصيدة روحاً جديدة تفيض بالحياة وتجعلك تتصور بالفعل ركائبنا، وهي متجهة إلى القدس، وتتعرض لكل هذه العراقيل، فتحول بينها وبين بلوغ الأقصى لتحريره. ووقفاتي عند بائعة الريحان، ومأساة التاريخ، ونطفة الفجر، ومع منير الليل، وخفقان قلب مبينة مواطن الجمال والإبداع الفني فيها، فالأدب الإسلامي من خصائصه «الجمالية»، فديننا دين الجمال، ولكن لا أنكر أنني ركزت على المضمون بشكل كبير، وذلك لأنني كتبتُ هذه الدراسة، وكان تيار الحداثة بمضامينه الهزيلة والهدامة هو السائد في الساحة، فأردت أن أوجه إلى أهمية المضمون.

❖ هل ظهرت جماليات المفردة القرآنية والنبوية في تجربة الشاعر العشماوي؟ وهل تعد سبيلاً للوصول إلى ريادة الأدب الإسلامي؟

❖❖ الشاعر العشماوي لم يخرج في شعره عن التصور الإسلامي للخالق جل شأنه والإنسان والكون والحياة، وهذا الذي يهمنا، وقد ظهرت بعض الاقتباسات القرآنية في شعره كقوله:

مبدعها ألهمها-قادراً
فجورها حيناً وتقواها

وهذا البيت اقتبسه من قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس].

ولكن لا يعد الاقتباس هو السبيل للوصول إلى الريادة، فهناك من يقتبس من المفردات القرآنية والحديثية، ولكنه يفتقر إلى مقومات الريادة.

❖ في كتابكم تقليل من شأن الشاعر العربي الكبير عمر أبي ريشة، والحط من قدره، ما مرد هذا الإجحاف؟

❖❖ الشاعر عمر أبو ريشة من كبار شعراء العربية، وأنا من أشد المعجبات بشاعريته وشعره، وهو من الشعراء القلائل الذين يجيدون إلقاء شعرهم، ولا يستطيع أحد أن يقلل من شأنه، أو يجحف حقه، وما كتبته عنه في كتاب التيار الإسلامي في شعر العشماوي، هو في معرض مقارنة بين ما نقرؤه في شعر العشماوي عن المرأة المتهم بتقليد أبي ريشة، وبين ما نقرؤه في بعض شعر أبي ريشة من امتهان للمرأة؛ إذ نجد في بعضه عبارات جنسية ما كان ينبغي أن ينطق بها أو يوردها، وضربت المثل بقصيدته «ليلة» التي يتحدث فيها عن علاقة غير شرعية، وفيها إشارات إلى شرب الخمر في البار، أو الحانة، بينما شعر العشماوي يقطر طهراً وعفافاً، وقد كرم المرأة التكريم كله ■